Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنانى مفرط فى الأنانية ، يهجمون ويرتدون ، وخلال التقدم والانسحاب يدمرون وينهبون ، حتى عاد كل شيء أسود قاتما فى العين وفى الأمل ، وخرائب وانقاضًا فى الواقع وفى الحياة ، وماتت الضمائر فى النفوس ، وانحلت عقدة الولاء للجماعة ، واستبيحت كل الحرمات ، وانقض كل خوّان على جانب من الدولة ، وأعلن نفسه أميرًا ، ووسط هذه المصائب تميزت طائفتان – إن كان مثل هذا يعد تميزا – هما : **الفقهاء** يقدمون لكل حادث فتوى ، ولكل جريمة مبررًا ، وفى خدمة الأقوى دائما ، **والشعراء** يتغنون بمن يدفع أكثر ، ولمن يقدم رفاهية أعظم ، وتحول الفن الجميل والنبيل على أيديهم إلى سلعة تباع وتشترى ، وغرقوا فى الأنانية فأخذوا يدورون حول أنفسهم غزلا وخمرا ومديحًا ! وفى جو كهذا أمسك الخيِّرون بأنفسهم ، وتواروا خجلا ، أو هاجروا إلى أرض بعيدة ، أو دفعوا الثمن معاناة وسجنا وقتلا .

واهتزت السلطة المركزية ، وتهاوت الخلافة ، وسطا على أمجادها مجموعة من السفهاء ، وقام على أنقاضها قرابة ثلاثين من الأمراء ، يتقاتلون طمعًا ، ويتدافعون حول أشبار ، ويعلنون الحرب من أجل أمتار ، ويدفعون كلهم الجزية للعدو الرابض على الحدود وهم صغار ، ولم يكن بأقوى منهم لو اتحدوا .

وقد ورثوا فى كل مكان ذهبوا إليه أمجاد الأمس الباذخة ، ولم يضيفوا إليها جديدا ، ومضوا يبعثرون فيها بلا حساب ، شأن السفيه حين يتلقى ثروة لم يبذل فيها جهدًا ، ولا كلفته مشقة ، وتحول الأندلس على امتداده العريض إلى مجتمع مستهلك ، ينفق فى بذخ دون أن ينتج شيئًا أو شيئًا قليلا لا أهمية له ، ونفق المجتمع بأولئك الذين يستطيعون أن يدغدغوا عواطف المستهلكين ببيت رقيق من الشعر ، أو بوصلة جميلة من الغناء ، أو بلحن موسيقى آسر ، أو بحركة راقصة فاتنة ، « وفاضت رغبات الناس الجنسية ، وتجاوزت ماهو مقبول عرفًا وعادة ، ولم يعد حب المرأة رغم شيوعه ويسره كافيًا ليوقف اندفاعهم ، من أى وسط كانوا ، وإلى أية طبقة انتموا ، نحو اتجاه آخر تنحرف فيه العاطفة عن مسارها الطبيعى » [1]

---

(١) الدكتور الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٥٠ ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ .